عنوان المحاضرة :تمثلات الهوية في الرواية المعاصرة – مفاهيم نظرية –

1الهوية قراءة في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

إن مفهوم الهوية مثير للجدل لأن تعريفه يختلف باختلاف العلم الذي يدرسه، حيث يزعم عدد من الباحثين أن لكل علم من العلوم – كعلم النفس والفلسفة والعلوم السياسية والكلام وعلوم أخرى مختلفة – تعريفه الخاص .

أ **-لغة:** جاء في لسان العرب لِابن منظور"هوية تصغير هوة، وقيل الهوية، بئر بعيد المهواة و عرشها وسقفها المغمى عليها بالتراب، فيعترف به واطئة فيقع فيها ويهلك، أراد لما رأيت الامر شرفا بي على هلكة، طوي طي سقف هوة مغماه تركته ومضيت وتسليت عن حاجتي من ذلك الامر".

والهوية مصدر صناعي من كلمة هو، للدلالة على أن الشتى هو، وليس غيره او بأنه هو لم يمر شيئا اخر، وهي بالذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل هوية الأنا .

اصطلاحا :

يعرفها الجرجاني في معجم التعريفات بأنها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق".

كما يعرفها "إبراهيم بيومي مذكور" يقول في تعريفه للهوية ب "أنها حقيقة الشيئ من حيث تميزه ،وتسمى أيضا وحدة الذات".

وأما "عبد المنعم الحنفي "يعرفها بقوله: "الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ماهو يسمى هوية".

كما يبدي "آمين معلوف" برأيه في كتابه "هوايات القاتلة حول الهوية "بقوله: "الهوية مسألة فلسفية جوهرية منذ قول سقراط الشهير "عرف نفسك بنفسك !"

وصولا إلى فرويد، ومرورا بفلاسفة كثيرين اخرين، وتهدي مجددا لهذا التحديد في أيامنا الراهنة يحتاج إلى الكفاية اكثر مما املك وإلى المزيد من الشجاعة و الاقدام.

لقد شكل موضوع الهوية اهتمام العديد من المفكرين و الفلاسفة والباحثين سوى العرب و الغرب كل واحد حسب رأيه الخاص به.

أ-**عند العرب:** من بين المفكرين العرب الذين تناولوا موضوع الهوية نجد عبد الله العروي الذي اعتبر ان وعي الذات ليس الا فيه الأساس و وعي للغرب ولذلك أيضا وعي للماضي، وان العرب في تعريفهم للهوية يربطونها بالتاريخ القومي واستمراريته إذ نجده يقول :"حينما ينعاد شعور العفو المباشر بالذات فليجأ الناس تاريخيا، فهو يتنافى ما خلفه اسلافنا".

وهذا يعني ان عبد الله العروي يجعل الهوية مرتبطة بالتراث العربي ،ومنه فإن التراث و الهوية مرتبطان ارتباطا وثيقا. فالتراث هو مكان أساسي فيه تكون الهوية وذلك لأ نه "التراث و الهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات" ،مكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية و الجماعية.

وكذلك نجد "حسن الحنفي" الهوية في نظره خاصة بالإنسان المجتمع و بالاغتراب، ونجده يربط الهوية بالحرية وهذا ما يؤكد بقوله "الهوية تعبير عن الهوية "،الحرية الذاتية و الهوية إمكانية قد توجد او لا توجد، وان وجدت فالوجود الذاتي وان غابت فالاغتراب .

فالإنسان الواحد في نظره ينقسم الى :هويته و غربته فالهوية في ان يكون الانسان هو نفسه ،و الاغتراب هو ان يكون ليس هو نفسه ويعتبر الهوية كذلك

ظاهرة كونية وان افضل منهج يتناول موضوع الهوية هو منهج الفينومينولوجي وذلك يظهر من خلال قوله: "آنالهوية ليست موضوعا صوريا ميتافيزيقيا مجردا بل هي قصدية يشعر بها الباحث، ويصف الموضوع بتحليل ذاته.

كما نجد الفرابي في كتابه "الحروف" يعرف الهوية يقول: "هوية الشيء وعينته، وشخصه وخصوصيته،ووجوده المنفرد له... و قولنا انه هو إشارة الى هويته،ويترجم لى انه التهوي".

وابن الرشد يرى بأن الهوية مرتبطة بالوجود حيث نجده يقول:ان الله عاقل ومعقول معا، ووجوده عين وحدته،اذ الوجود فيه عين الذات وهويتها"

2مكونات الهوية

بين هذه المكونات نذكر مايلي:

1 **اللغة:** تعد اللغة عنصر رئيس من عناصر التراث،ومقوم قوي من مقومات الهوية،ولقد تأكد بقوة على التكيف مع الجماعة العلمية و الفكرية والنفسية،وقد استطاع القرآن الكريم بإعجازه البياني ان ينفذ الى نفوس الملايين من البشر،وبنى المسلمون على هذاالبيان فكرهم وحضارتهم،وهكذا أصبحت اللغة العربية الوعاء المرجعي الدائم لدى المسلمين لفهم القرآن،معرفة التراث الإسلامي الضخم.

تلعب اللغة دور هام في بلورة حضارة ومظاهر ثقافتها وأداة التعبير ومرآة الوعي ورمز الوحدة وأداة الاتصال والارتباط بالتراث الثقافي والتاريخ الاجتماعي أن اللغة العربية هي الارتباط الوثيق الذي يجمع ملايين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم.

2 **المكان:** يشكل المكان في الخطاب القصصي المادة الجوهرية للخطاب ،أي اقصاء له انما إلغاء لهوية من هويات هذا الخطاب ،وحضور المكان ليس بوصفه اطار تدور فيه الاحداث و الوقائع بل توعي عميق بالكتابة جماليا وتكوينيا،المكان كشكل ومعنى،المكان كذاكرة ووجود،كسؤال اشكاليالمرتبط بوعينا الاجتماعي والثقافي ونسيجنا الأيديولوجيا والمعرفي.

والمكان عند الحكماء:هو السطح الباطن من الجسم المحوري وعند المتكلمين الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه ابعاده المكان المبهم.

ان الانسان يرتبط منذ نشأته بالمكان لأنه حيز جغرافي وأيضا حيز بجمع الناس بعضها ببعض في علاقات،ويعتبر موطنا يأخذ منه القوة للمقاومة و الدفاع عنه بحك الانتماء اليه،لأن المكان الأصلي هو الذي يشكل امتداد الزمن في الانسان،وهو الهوية التي ترسم صورا لتعريف عن الذات (....) وذلك ارتباط الهوية مع المكان بحيث يجعلنا نعود الى ما طرحه غاستون باشلار من ان المكان يشكل بناء معرفي يرتبط بالوعي و أعماق النفس.

يربط جاك بيرك بين صناعة الهوية و المكان كما يفعل في كتابه ecstazy d pain) (arabaeberth أي الولادة الجديدة للعرب:الألم و النشوة حين يرى بنظرة الاستشرافي حتى حينما يكون متعاطفا ان هوية العربي ستظل مرتبطة دوما بالصحراء واشباع البادية.

ان العلاقة بين الهوية و المكان متلازمة تشكل غراس الأرض ومنها يتشكل حلمنا بوطن كسائر الأوطان، لكنه الاجمل بالنسبة لنا.

نجد بأن المكان يكتسب المعاني وجودية اكثر تعددية وعمقا في حالة تحديد الهوية.

3 **التراث:**يعد أحد المرتكزات الأساسية للهوية،ونعني بالتراث النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها،بكل ما تحققه من تجارب واحداث صيغتها بصيغة خاصة، وأصبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها واعرافها وتقاليدها.

كما نجد دولان بارت يصف التراث في أربعة مواقف "التراث الشعبي" الأقنعة، المرايا، التراث الأسطوري ،ويقدم انطلاقا من هذا التصنيف نماذج مختلفة لموقف الشعراء المعاصرين من التراث .

فالتراث الشعبي جسر يمتد بين الشاعر و الناس والاقنعة هي شخصية تاريخية،المرايا هي صورة لذاته تعكس عليه الرموز، والتراث الأسطوري هو تحويل التاريخ من لون الى اسطورة. ويرى سعيد يقطين ان التراث العربي ريف الماضي، وهذا الماضي يعتبره مرة رديفا للتخلف و الانحطاط، ومرة للاعتزاز و الافتخار والبعض الاخر يرى ان التراث هو نموذج يحتذى به، نسترجع له المكانة التي كانت لنا في الماضي والتي حققت لنا بواسطته و يعرف التراث فيقول: "التراث العربي هو مجموع الإنتاج الذي خلفه العرب وغيرهم من الاجناس التي دخلت في نطاق الحضارة العربية الإسلامية باللغة العربية وحين نركز على اللغة العربية في هذا التحديد لأنها الاطار الذي نظم كل اشكال التعبير و التفكير.

والتراث بمثابة ذاكرة الامة مثله مثل ذاكرة الشخص،فإذا فقد الشخص ذاكرته اصبح شخصا اخر لا صلة له بالماضي.

أما عن مفهوم التراث العربي الإسلامي، فهو التراث الذي سجل بالعربية،واتخذ من الإسلام منهجا،وبنى دراساته على التعليمات الإسلامية ويتأمل فيما جاء في القرآن ويتبع أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم،ويفكر بما فيه خبر المسلمين خاصة و للإنسانيةعامة ويسجلها في كتب هي التراث العربي الإسلامي المكتوب.

فإن اهماله او اختراقه من قبل الاخر يعني بأن هذه الجماعة او الامة،قد اخترقت هويتها،وفي طريقها الى الذوبان و الاضمحلال.

4 **المقدس:** يعرفه لالاند بقوله:"ماينتسب الى نظام أشياء منفصل مخصوصالا يقبل الانتهاك،ما يتعين عليه أن يكون موضوع احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين".

ويمنح المقدس الانسان الامن في اجابته على بعض الأسئلة المتعلقة بالوجود والمصير وغيرهما،لذا من الممكن ان تكون اللغة واحدة والعرق واحد،لكن الانقسام الديني يحدث توتر

و زعزعة في المجتمع الواحد لانه قد يتخلى شعب من الشعوب:"عن بعض مقومات الهوية لديها ولكن بعسر تتخلى عن المقوم الديني المشكل لهويتها.

5 **العرق:** ليست مقولة بيولوجية او جنية ذات شرعية علمية ... لان العرق مقولة خطابية لا مقولة بيولوجية، بمعنى ان هذه الخطابات تستخدم مجموعة من الاختلافات الفضفاضة و غير المحددة على الاغلب والمتعلقة بالخصائص الفيزيائية التي تعد كالمعالم الرمزية للتميز الاجتماعي بين جماعة و أخرى.

بحيث يكون للعرق أهمية في تشكيل الهوية يعتمد على طبقة التوظيف السياسي و التعبينة للمجموعات عبر عطائهم إحساس بإنتماء و التاريخ.

6 الدين: ظاهرة اجتماعية تاريخية ثقافية،ولم تخلو امة من الأمم من بروز الظاهرة الدنية(....) ويعتبرالدين عند العرب مقومات هوياتهم ،يعد عنصر الدين يتدخل أكثر فأكثر في بلورة وتشكلات الهوية الجماعية التي تحدد تعين الفاعلين الاجتماعيين(....)إذا يتزايد ينقل هذا العنصر في كل مكان وبسرعة أكثر عندما ينتقد عن محيط الإنتاج،حيث وصل الى أقصاه في مجالين اثنين مكانة المرأة ودورها في المجتمع ومدى شرعية السلطة السياسية.

7 **الدولة:** ان الدولة تنص لدى المواطن شعورا مشتركا بالانتماء الى الهوية كلية يتجاوز الانتماءات الطبقة الاثنية و العرفية و الدنية لانه ليس من الممكن تواجد هوية لا تتعين بالشعور و بالانتماء، والشعور بالانتماء لا يتعين إلا بالجنسية ولا يتعين إلا بالدولة.

وتعد هوية الدولة هي العنوان الكبير المعبر عن هوية الأرض و الوطن والشعب والمراة العاكسة لهذه الهوية،ولذا نجحت اسم الدولة في غالبية الأحوال العادية هو نفسه اسم الأرض التي تنتمي اليها هذه الدولة.

8 الثقافة: ترتبط فكرة الهوية باحكام الى فكرة الثقافة و الهويات، ويمكن ان تتشكل عبر ثقافات الرئيسية والثقافات الثانوية التي تنتمي لها الافراد او التي يشاركون فيها. والعديد من

نظريات الهوية ترى العلاقة بين الثقافة و الهوية تأخذ اشكالا مختلفة فالباحثين الذين تأثرو بالنظريات الحديثة للثقافة و الهوية ينظرون الى الهوية باعتبارها نشات بطريقة واضحة من الانخراط في ثقافات و ثقافات فئوية معينة فمثلا "ستيفن فروش" يعتبر ان الهوية افراز من الثقافات ولكنها لا تتكون منها بتلك البساطة فيقول النظرية الحديثة لعلم النفس وعلم الاجتماع تؤكد ان هوية الفرد هي في الحقيقة متعددة، وربما مائلة حيث أنها تتكون عبر تجربة وتترسخ برموز لغوية، والافراد حين يطورون هوياتهم انما ينجذبون إلى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم بتلك الموجودة في المجتمع ككل،وعملية بناء الهوية تبعا لذلك ستأثر عليها بشكل كبير جميع التباينات و الامزجة السائدة في البيئة الثقافية و الاجتماعية المحيطة.